تحليل الخطاب
بين الغموض ومسالة الخلاف

الأستاذ : بصيص الطاهر
كلية علوم الإعلام والاتصال
جامعة الجزائر-3-
taharbessais@ymail. com

ملخص

إن ما نعيشه في العصر الراهن من ثورة معرفية مست شتىّ ميادين الحياة سواء على المستوى الفكري المجرد والمادي الملموس، ليس وليد طفرة معرفية انتابت العقل البشري بشكل اعتباطي، بل هو نتاج تراكم فكري حضاري استغرق حقب زمنية من عمر البشرية نتج عن انطلاق فهم الإنسان وفضوله لرصد وفهم ما يدور حوله ومحاولة إيجاد تحليل وتفسير ومناقشة لكل ما يصل إليه من استقرائه واستنباطه المعرفي. فكان أن بلغنا مجموعة من الرؤى والأفكار تمثل مدارس وتيارات فكرية التي ترجمت محاولات أصحابها لفهم وتفسير مفهوم تحليل الخطاب ضمن الأطر العلمية التي كانت تحكمه كل وفق رؤيته ومنهجه الفكري وبيئته الحضارية، الثقافية والاجتماعية والسياسية. وقد اعتمد الدارسون والباحثون الدين نقبوا كثيرا في دراستهم وإسهاماتهم العلمية في إطار تحليل الخطاب مدارس كثيرة ومختلفة نركز هنا على بعض المدارس التي تعد روافد أساسية أرست دعائم كحجج وبراهين يستند إليها الباحثين في تدعيم أطروحاتهم في هذا

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

الإطار، يراها الباحث من وجهة نظره ضالعة حيث أسهمت في التشخيص الدقيق للمرتكزات العلمية لمفهوم تحليل الخطاب اد تزخر الإسهامات الأجنبية والعربية بالكثير من البحوث والدراسات التي تتناول تحليل الخطاب والتي عادة ما يقع الباحث في نوع من الضبابية واللبس وتتجلى هده الصعوبة في عملية إيجاد تعريف متفق عليه، ويرجع من وجهة نظري لتعدد المشارب والاتجاهات النظرية التي تتناول هدا المفهوم اد هناك مجموعة من المتغيرات التي تتحكم في دلك وبخاصة المتغيرات المجتمعية التي طرأت في حقب زمنية معينة والتي تشكل طبيعة النضج ووعي العنصر البشري نتيجة لسياق الزمان والمكان في كل الأحوال.

- **الكلمات الدالة** : الخطاب، تحليل المضمون، الاتجاهات النظرية.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

مقدمة

تستهدف هده الورقة تقديم محاولة في سياق مقاربة تحليل الخطاب ضمن الإطار الذي ينطلق من زاوية السياق المجتمعي العربي ودلك من خلال الاستفادة منه بحيث أصبح في الآونة الاخيرة يعتمد عليه في الدراسات الإعلامية بشكل واسع، حين أوضحت نتائج هده الدراسات أن هناك قصور لبعض الأدوات البحثية الكلاسيكية التي أصبحت غير كافية في طريقة التحليل والتفسير ومناقشة النتائج. وسوف نحاول من خلال هده الدراسة التعريف بمفهوم تحليل الخطاب نتيجة لذيوع صيته والآليات التي يمتلكها في عملية استنطاق الرسائل الإعلامية ولإمكاناته التحليلية التي يعتمد عليها ووجهات النظر التي انبثقت في سياقه من بعض المدارس الفكريةالتي كان لها دور بارز في إرساء تقنيات البحث.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

تحليل الخطـــــاب

أولاً : مفهوم الخطاب

الخطاب وتحليل الخطاب

بدأت تظهر دراسات في هذا السياق في الولايات المتحدة الأمريكية حيث صدر كتاب "هايمز" (**اللغة في الثقافة والمجتمع**) وعلى الرغم من أن مصطلح الخطاب والنص لم يسيطرا على هذا العمل إلا أنه كان توجه إلى موضوع الخطاب والاتصال الذي تطور فيما بعد إلى تحليل خطاب اثنوجرافيا الكلام، وفى العصر الحديث أفردت مجلة الاتصال الفرنسية 1964 عددا خاصاً ساهم فيه عدد من الباحثين ممن وضعوا الأسس الأولية لمشروع تحليل الخطاب ومن الموضوعات التي ظهرت في هذا العدد (تحليل نقدي جديد لبروب وتطبيق اللسانيات الحديثة والسيميوطيقا على الأدب تدر وف وتحليل الفيلم "مينز" (مقدمة في السيميولوجى "بارت")[1].

وهذا ما نلاحظه جلياً في تيار المدرسة الفرنسية التي بدأت بعملية تطوير الدراسات الإعلامية باستخدام أداة تحليل الخطاب، التي ظهرت مع هاريس في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1952، ومن ثم بدأ تطويرها على يد الفرنسيين في حقبة الستينيات وكان من رواد هذه المدرسة المؤسسين للتطبيق الفرنسي لتحليل الخطاب مع دبوا Dubois، سمبف Stumpf حيث ولد تحليل الخطاب نتيجة التحام التيارات الفكرية بين اللسانيات البنيوية، علم النفس الاجتماعي لوكان، وماركسية آلت وسير[2].

---

1 على بن شويل القرني **الخطاب الإعلامي العربي**، العدد الأول المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1997، ، ص38

2 Alpha Ousmane Barry, Les Outils Théoriques En Analyse De Discoures, Activité de recherche, htt/ laseldi. univ-fcomt. fr/utilisateur/abarry/f_activite. htm. P38.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

1- أ- الخطاب لغوياً، واتصالياً

أ الخطاب في صيغته اللغوية :

يدل لفظ الخطاب (discourse) المنحدر من الأصل اللاتيني (discursus). . . الذي يعني الجري باتجاهي الأمام والخلف، إلى المناقشة أو المحادثة أو الخطبة. كما أنه يدل على الشكل الذي تأخذه سلسلة من التعبيرات والأحكام، وكذلك الطريقة التي تأتي بها المعرفة للوجود، لذا يمكننا أن نتحدث عن خطاب علمي، أو ديني. . . أيضا يصف الخطاب تلك الممارسات المحكومة بمجموعة من القواعد التي ينشئها نظام أو نسق خاص من المقولات كشكل من أشكال المعرفة "[1].

يذهب هاريس في شرحه لمفهوم تحليل الخطاب إلى أنه "منهج في البحث في أي مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في تأخذه سلسلة من التعبيرات والأحكام، وكذلك الطريقة التي تأتي بها المعرفة للوجود، لذا يمكننا أن نتحدث عن خطاب علمي أو ديني. . . "في حين يشير هوجلي ولوبكه ويصف الخطاب بأنه : " تلك الممارسات المحكومة بمجموعة امتداد طولي، سواءً كانت لغة أم شيئا شبيها باللغة، ومشتملة على أكثر من جملة أولية أو لنقل أنها بنية شاملة تشخّص الخطاب في جملته. . . أو أجزاء كبيرة منه"[2].

غير أن ايستهوب يرى بأن الخطاب "مصطلح يعين الطريقة التي تشكل بها الجمل نسقا تتابعيا، وتشارك في كل متجانس ومتنوع

---

1 أحمد صفار، **تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم، رؤية مقترحة**، مجلة النهضة، المجلد السادس، العدد الرابع، (جامعة القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، أكتوبر 2005)، ص100.

2 ديان مكدونيل، **مقدمة في نظريات الخطاب**، ترجمة وتقديم الدكتور عز الدين إسماعيل، (القاهرة : المكتبة الأكاديمية، 2001).

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

على السواء وكما أن الجمل تترابط في الخطاب لكي تصنع نصا مفرداً، فإن النصوص ذاتها تترابط كذلك مع نصوص أخرى لتصنع خطابا أوسع نطاقا[1].

ويقول عز الدين إسماعيل الخطاب هو شكل من أشكال الاتصال يتحقق باللغة وفي قلب الاتصال يستقر الكاتب ولكن الاتصال يتطلب طرفا ثالثا هو القارئ[2].

الخطاب هو التعبير عن الأفكار بالكلام، وهو المعنى الذي ذهب إليه المفكر والعالم اللغوي السويسري فريدنان دي سوسير في كتاباته ومحاضراته العلمية لكي يحول الكلمة إلى مصطلح يدل في علم اللغويات على أي امتداد لغوى له بناء منطقي سليم ويكون أكبر من الجملة الواحدة أو الفقرة المتكاملة. في حين أن هذا المصطلح اكتسب قيمة نظرية كبيرة عند المفكر الفرنسي مشال فوكو في كتابه المشهور "نظام الأشياء" في عام 1966 حيث كشف تاريخ منظومات ثقافية واجتماعية كاملة عبر عصور طويلة كالاقتصاد أو التاريخ أو التقاليد والأعراف أو العقائد، وحلل كيف كانت تكتب وتتحول دلالاتها من عصر لعصر، ووصف كل طريقة للتعبير عن أفكار كل عصر بأنها الخطاب الخاص به. [3]

فالخطاب بالمعنى لألسني الواسع "يعني كل إنتاج ذهني منطوق أو مكتوب، يقوله فرد أو جماعة رسمية اعتبارية (كالمؤسسات المختلفة التي تنتج الخطاب السياسي، القانوني، والأدبي. . .)، وقد

---

1 المرجع السابق، ص31.

2 ديان مكدونيل، ترجمة الدكتور عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص27.

3 سامي خشبة، مصطلحات فكرية، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997)، ص123- 124.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

يأتي هذا الخطاب في شكل محادثة عادية مشافهة أو حوار رسمي أو مقال مكتوب أو رسالة أو خطبة أو وثيقة أو برقية تصريح أو تعليق، وغير ذلك من الأحاديث الموجهة في التواصل الجمعي"[1].

في حين يرى البعض إلى أن البحث في المعنى كما اضطر التوليديون إلى الخوض فيه، قد حوّل إطار علم الدلالة إلى إطار التداول في الدلالة، وهو ما أفرز بعدئذ البحث في الخطاب[2]. وحسب fichs(1985) لا يوجد فرق بين الخطاب والنص، إذ يقول هو موضوع ملموس ينتج عن حالة محددة تحت تأثير شبكة معقدة من المحددات الاجتماعية والإيديولوجية[3].

2- الخطاب في صيغة التفسير :

تبلور الخطاب على نحو آخر مع أعمال المفكر الفرنسي مشال فوكو، الذي استطاع أن يحفر لهذا المفهوم سياقا دلاليا مميزاً عبر التنظير والاستعمال المكثف، ومن خلال الدراسات التي وضعها في هذا المجال، وكذا محاضراته في الكوليج دي فرنس، والتي تعرض فيها لنظام الخطاب وحدده بأنه شبكة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية، التي تبرز في الكيفية التي ينتج فيها الكلام بوصفه خطابا ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه. افترض فوكو أن إنتاج الخطاب في مجتمع ما، هو في الوقت نفسه إنتاج

---

1 محمود عكاشة، **خطاب السلطة الإعلامي**، ط2، (القاهرة : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة، 2007)، ص18.

2 عبد السلام المسدي، **منهج اللسانيات والبدائل المعرفية**، ، العدد الثالث والثمانون، السنة الواحد والعشرون، (الكويت : المجلة العربية للعلوم الإنسانية، صيف 2003)، ص32

3 Alpha Osmane Barry, Les Outiles Théoriques en Analyse de discours, Activité de recherche, 16/11/2006, P 3, http//laseldi. univ-fcomt. fr/utilisateur/abarry/f_activite. htm.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

مراقب ومختار يعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات تتولى الحد من سلطاته ومخاطره، وتتحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء مادته الثقيلة والرهيبة. غير أن الخطاب حسب ما يرى فوكو لا ينفك يرتبط بالدور الواعي المتمثل في الهيمنة التي يمارسها في حقل معرفي أو مهني. وعلى هذا النحو فإنتاج الخطاب وتوزيعه ليس حراً أو بريئاً في أغلب الأحيان[1].

ويعرف فوكو الخطاب كمدى محدود لتقديرات ممكنة تستحث مدى محدودا من المعاني، فكل خطاب يمثل طريقة للتحدث عن العالم الاجتماعي ومن ثم يكون فهمه من منظور معين، وطبقا لهذا التعريف فأن سيادة وسلطة الخطاب تشمل قوة ذلك الخطاب لإملاء مصطلحات الخلاف العام فيحدد ما يمكن قوله وما لا يمكن.[2]

ويذهب البعض إلى تعريفه بأنه الكلام الموجه إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حوارا أو مشافهة أو كتابة للتأثير والإقناع بغرض تحقيق مقاصد اتصالية[3].

ومصطلح الخطاب تاريخيا مقولة من مقولات علم المنطق، تعني التعبير عن فكر متدرج بواسطة قضايا مترابطة، وقد شاع استخدامه في ستينات القرن الماضي من قبل كثير من الباحثين الاوروبين وبخاصة مع الفرنسيين وقد ظل مصطلح الخطاب بكر

---

1 ميجان الرويلي وسعد البازعي، **دليل الناقد الأدبي**، إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ط 2، (بيروت : المركز الثقافي العربي، 2000)، ص89- 90.

2 Louise Phillips, Media Discourse and The Danish Monarchy, Recorcilling Egalitarationism and Royalism, Midia Culture &Society, Vol, 21, No. 2. March. 1999. p225.

3 محمود عكاشة، **خطاب السلطة الإعلامي**، ط2، (القاهرة : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة، 2007)، ص17.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

حتى بعد مرور عشر سنوات تقريبا على ظهوره، حيث كان يتم استخدامه في النصوص دون أن يتم تعريفه.

ولذلك كان مفهوم الخطاب يكتنفه نوع من الغموض والضبابية حيث يتم استخدمه مع معاني دقيقة ولكنها مختلفة في السياقات (مرهونة بطبيعة السياق) حيث يتواجد ضمنيا داخل كل خطاب فكرة عامة تدور حول أن اللغة يجري تركيبها وفقا لنماذج مختلفة، يتبعها الناس عند التفوه بأي عبارات أثناء مشاركتهم في ميادين الحياة الاجتماعية المختلفة[1].

ويعرف بينفيست الخطاب بأنه كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب وتفترض نية التأثير على السامع أو القارئ مع الأخذ بنظر الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها[2].

وهذا يشير إلى أن الخطاب الصحفي، يفترض وجود منتج للخطاب يحمل فكرة رئيسية أو وجهة نظر معينة، إزاء قضية ما من القضايا بهدف رصدها وتحليلها وتفسيرها، للتأثير في المتلقي للرسالة أو القارئ في ظل ظروف وسياقات متباينة ثقافية واجتماعية وسياسية معينة يتم فيها إنتاج الخطاب. وهذا ينطبق على القضايا والأحداث وهي في حد ذاتها تشكل جدلا خلافيا من وجهة نظر الكتاب الإعلاميين في الصحافة حيث تفرز أراء ومواقف مختلفة في التناول الإعلامي للصحف بمختلف مشاربها السياسية تجاه هذا

---

1 Louise Philips and MarianeW. Jorgensen, Discours Analysis As Theory and Method, First Published 2002, London. Thousand Oaks. New Delhi, p. 1.

2 سلام احمد عبده، **الخطاب الصحفي الانتخابي لأحزاب المعارضة دراسة تحليلية بالتطبيق على انتخابات مجلس الشعب لعام 2000**، المجلد 2، العدد 4، المجلة المصرية لبحوث الراي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، أكتوبر ديسمبر، 2001، ص 94.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

الخطاب كما أثرت في اختلاف أطروحات منتجي الخطاب الصحافي للقضايا حيث تدعم أطروحات وتدحض أخرى وهذا مرهون بالتوجه السياسي لمنتج الخطاب الصحافي أو الوسيلة الإعلامية التي يعمل بها.

لا يعد الخطاب الصحفي نمطاً من أنماط الخطابات التي تأخذ شكلاً واحداً أو مستوى واحداً عند إنتاجها، وإنما هو من نمط الخطابات التي تأخذ أشكالا ومستويات عدة تؤثر على محتوى وبنية اللغة داخله، فقد يأخذ شكل الخبر وقد يأخذ شكل التحقيق، أو الحوار، أو المقال بأنواعه، أو الرسوم الساخرة والرسوم التعبيرية، ولكن يبقى أن مفهوم هذا الخطاب يتحدد عند مستوين :[1].

المستوى الضيق(Micro) : وهو خاص بطريقة إنتاج المعاني التي تحملها الجمل والكلمات التي تظهر في الرسالة الصحفية أي البنية اللغوية للخطاب.

• **المستوى الواسع** (Macro) : ويتعلق بالموضوعات المطروحة في الرسالة الاتصالية ويتحدد الموضوع داخل الخطاب الصحفي في مجموعة من المقولات تشكل البنية الدلالية المتسقة له، وتحدد هيكلة المعلومات المهمة به، وتؤدى طرق البناء والهيكلة هنا دوراً إدراكياً حيوياً في فهم المعنى المقصود من الخطاب

وللخطاب عناصر هي المرسل المرسل إليه والسياق من خلال هذا الكائن تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة ووظيفة الخطاب هي التفاعلية والتعاملية ووظيفة اللغة الأساس هي وظيفة إعلامية[2].

---

1 محمود خليل، تكنولوجيا برامج التحليل العلمي لبحوث الإعلام، ط1، (القاهرة : العربي للنشر والتوزيع، 1998)، ص14.

2 عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 36، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2007)، ص123.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

إذا كانت اللغة هي عملية الاتصال فإن تحليل الخطاب هو تحليل هذه اللغة في الاستعمال لذلك لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيداً عن الأهداف أو الوظائف التي وضعت هذه الأخيرة لتحقيقها بين الناس.

وطبقا للنظرة التعاملية أو الوظيفة التعاملية فإن اللغة تستعمل لأداء وظائف اتصالية عديدة، إلا أن وظيفتها الأكثر أهمية إيصال المعلومات بطريقة واضحة.

وعطفا على ماسبق فإن الخطاب الصحافي يتحدد في مجموع المعاني والأفكار التي يقصدها منتج الخطاب الصحافي في الموضوعات الصحفية التي تنشر من خلال القوالب الصحفية المختلفة المتمثلة في (الافتتاحية، المقال الافتتاحي، المقال التحليلي، التعليق، العمود الصحفي).

إن الهدف الجوهري من تحليل الخطاب هو إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدة اللغوية موضوع الدراسة، والهدف من دلك مساعدة المتلقي في معرفة الخطاب وفهمه فهما يتناسب والسياقات الاجتماعية، ولهدا الوصف الشمولي بعدان : **النص** Text و **السياق** Context والنص يمثل بنية الخطاب والسياق يدخل فيه البنية والعالم الخارجي وظروف إنتاج النص والمشاركون فيه وزمنه ومكانه[1].

فالخطاب القابل للفهم والتفسير والكشف عن المسكوت عنه هو أن يوضع في سياقه، لان السياق له دور فاعل ورئيس في تواصلية الخطاب

---

1 معمود عكاشة، **خطاب السلطة الإعلامي**، ط2، (القاهرة : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2007)، ص22.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

وانسجامه من الأساس وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه حيث لا يمكن تصور خطاب بمعزل عن السياق - الظروف الداخلية والخارجية المحيطة به- الذي نشأ فيه هذا الخطاب.

فتحليل الخطاب من وجهة نظر براون ويول هو اختزالهما لوظائف اللغة في اثنين[1]:

أ-**وظيفة نقليه** : أي أن إحدى الوظائف التي تخدمها اللغة هي نقل المعلومات أو تناقلها بين الأفراد والجماعات، وهذا رأى ثلة من باحثي اللغة وفلاسفتها.

ويذهب براون، ويول إلى أن لا أحد يمارى في ما تقوم به **اللغة** من نقل للأفكار والثقافات عموماً كما أن لا أحد يجادل في أنها تساهم بشكل فعال في تطوير تلك الثقافات بل تعد خزاناً هائلاً لتجارب الأمم عبر سيرورتها التاريخية، بحيث يفترض، في هذه الحالة، أن ما يشغل ذهن المتكلم (الكاتب) هو النقل الفعال للمعلومات أي جعل ما يقوله (يكتبه) واضحا، بمعنى قابلا لأن يفهمه الآخرون دون عناء كبير أو أي غموض أيضاً.

وظيفة تفاعلية : أي قيام شكل من أشكال التفاعل اللغوي بين فردين أو بين مجموع أفراد عشيرة لغوية، بالإضافة إلى تأسيس وتعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها وتعبر عنها والتأثيرات المرغوب إحداثها في العقيدة والرأي أو ما شابه ذلك.

---

1 محمد خطابي، **لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب-**، ط2. (المغرب : المركز الثقافي العربي، 2006)، ص 48 .

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

المسكوت عنه ما وراء الخطاب :

هناك إشكالية تتعلق باستخدام أداة تحليل المضمون كطريقة منتظمة لتحليل محتوى الرسالة الإعلامية حيث إن أسلوب معالجته لا يهتم سوى بالرسالة فقط ولا يحاول الإجابة على عدد من الأسئلة المرتبطة بالعملية الاتصالية وتأثيراتها أو ما يعرف بما وراء الخطاب، وقد أدرك الباحثون أوجه القصور التي يتضمنها تعريف "بيرلسون" واتجاهه لجعل المضمون الظاهر هو المادة الرئيسية لتحليل المضمون وأكدوا على أن أهداف الرسالة الاتصالية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال فهم المضمون الكامن أو الضمني في علاقته مع المضمون الظاهر أو الصريح لأن الدلالات الخاصة بالمضمون الكامن تمثل المفاتيح الرئيسية لفهم العملية الاتصالية فقط التحديدات المتعارف عليها لمعاني الألفاظ. ومما تجدر الإشارة إليه تلك الظاهرة الخاصة بتجنب الباحثين الإعلاميين وغيرهم محاولة التعامل مع الدلا لات أو المعنى الكامن للمضمون، بسبب الاختلافات التي قد تنشب بين المحللين، والتي يمكن أن تصل إلى أقصى مدى عندما يحاولون التعامل مع هذه الدلا لات، والتي اقتصر الباحثون على التعامل مع المضامين الظاهرة للرسالة، وأصبحوا يلغون تماما مسألة الدلالات، حتى لا يواجهون مشكلة الصدق، التي تعد الدلالات أو المعنى الكامن بؤرتها الأساسية[1].

يرى "نصر أبو زيد" أن تحليل القول لا يقف عند مستوى معرفة المفهوم من خلال المنطوق بل يتجاوز ذلك إلى ما يطلق عليه (فحوى

---

1 عواطف عبد الرحمن وآخرون، **تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية**، (القاهرة : العربي للنشر والتوزيع، 1983)، ص238-239.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

القول أو لحن الخطاب) وهو ما يطلق عليه في علم تحليل الخطاب المسكوت عنه فمثلا حين ينهانا القرآن الكريم في قوله تعالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) هنا لايجب الوقوف في تحليل هذا القول عند حدود المفهوم، النهى عن الإيذاء بالقول حيث أن هذا الأخير يشير بدلالة النهي عن الإيذاء القولي إلى النهي عن الإيذاء البدني وعن كل أنماط القسوة ولو بالنظرة أو بالإشاحة بالوجه. . . الخ هذا المسكوت عنه إذا ليس ضرباً من التفتيش عن دلالة غائبة تماماً من سياق القول كما أنه ليس ضرباً من التحايل لإلباس القول دلالة لا يتضمنها انه كشف للدلالات الضمنية الكامنة والخفية داخل بنية الخطاب أو القول[1]، فالمسكوت عنه في الخطاب يمثل أحد آليات النص في التشكيل بما هو جزء من بنيته الدلالية، وقد يكون المسكوت عنه مدلولا عليه في الخطاب بطريقة ضمنية وقد يكون مدلولا عليه بالسياق الخارجي[2].

يشير التراكم المعرفي لتحليل الخطاب إلى أن المؤسسات الاجتماعية بكافة أشكالها ومختلف مستوياتها هي التي تبلور وتلبس لنا المعاني. . . على الكلمات والمصطلحات وتنتج لنا مفردات جديدة وقيما ومعان مشبعة بمواقف ودلالات مؤد لجة، وهكذا ينتج لدينا خطاب جديد يبلوره ويولكه الإعلام وتجتره المؤسسات ويفلسفه المثقفون[3].

---

1 أبي سناء عبد الله أبو زيد، **الخطاب الصحفي للغزو الأمريكي البريطاني على العراق**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم الإعلام، جامعة حلوان، 2007. ص60 .

2 **المرجع السابق**، ص60.

3 علي بن شويل القرني. **الخطاب الإعلامي العربي**، العدد الأول المجلة المصرية لبحوث الإعلام، (جامعة القاهرة : كلية الإعلام، 1997)، ص 39.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

والخطاب الإعلامي للوسائل يقع في صلب منظومة الترميز الاجتماعي وأهمية خطاب الوسائل من - زاوية فعله الاجتماعي- لا تكمن فيه بذاته وإنما بالمسلمات المرتبطة به على غرار إن الوسائل الإعلامية سلطة ذات فعل محرك، وتحليل الخطاب الاعلامى للوسائل باعتباره أداه تحوير أو تحريك أصعب بكثير من تحليل الخطاب السياسي مثلا، فهذا الأخير يرتبط بفكر السلطة وبفكرة التحريك، في حين أن الوسائل الإعلامية تدعي أن موقعها مضاد للسلطة والتحريك، ولكنها في الوقت عينه أداة يستخدمها السياسي لتحريك الرأي العام.

ويرى باتريك شارودو أن وسائل الإعلام تتحرك بفعل مجموعة من الظغوطات على المستوى الداخلي خاص بالوسيلة والخارجي يظهر متمثلا في الأحداث التي تفرض نفسها على تلك الوسائل، بما ينزع عنها صفة الهيئة الفارضة للأجندة الإعلامية على المتلقين، فالأحداث كالمسامير التي تدق بعضها فوق بعض فيطرد أحدهما الآخر، والسلطة السياسية تعد في هذا السياق فاعلا أساسيا، فحتى عندما تعرف وسائل الإعلام أن موقفاً أو تصريحا ما من قبل السلطة مثلا لا يتعدى كونه فعلا تكتيكيا فإن مجبرة على نقله. وهو ما يدل على خصوصية العلاقة بين الخطاب والسلطة خاصة الخطاب الاعلامى العربي.[1]

يوضح التراكم المعرفي وأدبيات الخطاب أنه لا يوجد خطاب دون سلطة وفى هذا السياق أشار دوسوسير : إلى أن اللغة ليست ذات طبيعة بريئة، حيث بمجرد أن ننطق بكلمة أو حتى نتفوه بعبارة نكون في خدمة سلطة معينة.

---

[1] أبي سناء عبد الله أبو زيد، مرجع سابق، ص 60.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

فالخطاب العربي مثل غيره من الخطابات حيث لا يكون بمعزل عن الفكرة الأنفة الذكر بل محمّل بكثير من قوة السلطة وتأثيرها، وهو انعكاس مباشر للعلاقة التي تربط بين هيئات السلطة المختلفة وبقية المؤسسات الاجتماعية والثقافية والإعلامية وغيرها من الفئات والجماعات في المجتمع[1].

وهذا ما يجعل الخطابات ليست تامة (صريحة) ولا تحتاج إلى أن تكون كذلك بمعنى أن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات الضرورية(التي يعتبرها طرفا التخاطب ضرورية[2].

في هذا السياق يقرر "ديك أن خطاب اللغة الطبيعية، إذا قيس بخطاب اللغة الصورية، يعد غير صريح أو قل يعد ضمنيا، مما يدفع المخاطب - القارئ إلى استغلال آلة الاستدلال، في بعض الأحيان، لفهم وتأويل الخطاب، ومن ثم يقيم ديك تمييزاً متوازياً بين الخطاب التام(الخطاب الصريح)، والخطاب الناقص(الخطاب الضمني)، ولكن تمام الخطاب ونقصانه ليس مظهراً قاراً ملازماً لكل أنواع الخطاب، بل التمام والنقصان درجات أولاً، ثم هو مرتبط بنوع الخطاب والهدف من نقله"[3].

---

[1] علي بن شويل القرني، مرجع سابق، ص 43.

2 محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، (المغرب : المركز الثقافي العربي، 2006)، ص40.

3 محمد خطابي المرجع السابق، ص 40.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

ثانيا : الاتجاهات النظرية في تحليل الخطاب :

أ - تحليل الخطاب من وجهة نظر المدرسة الشكلية الروسية :

أسس مجموعة من الطلبة الذين كانوا يدرسون بجامعة موسكو (جاكبسون إلى جانب ستة طلبة آخرين) حلقة سميت "**حلقة موسكو اللسانية**" وكان الهدف من وراء ذلك هو الدراسة اللسانية. . . واستطاعت هذه الحلقة أن تستقطب، فيما بعد كل شباب موسكو اللسانيين، وكذلك بعض الفلاسفة **قستا سبيت** وشارك فيه بعض الشعراء الكبار وعلى رأسهم **ما يا كوفسكى**، بعد عام من تأسيس الحلقة وبالضبط في شتاء عام (1915، 1916) اجتمع مجموعة من الفيلولوجين الشباب ومؤرخي الأدب في بتر سبورغ وكونوا جمعية لدراسة اللغة الشعرية وقد عرفت باسم **أبوياز**[1]. وهى مختصر جمعية دراسة اللغة الشعرية باللغة الروسية. والتي ضمت أشخاصا مثل **فكتور شكلو فسكي، بوريس ايخنباوم، وأوسب برك.**

والشكلانية تسمية أطلقها عليهم خصومهم. . . وارتبط هذا الوصف بمجموعة الأفكار الجديدة في حقول الأنثروبولوجيا والشعرية واللسانيات التي تلازمت في نوع من التطور والالتحام بين عدة حقول معرفية متباينة[2]، ضمن هذا السياق أسهمت مدرسة الشكلين الروس في إدخال مفهوم الخطاب إلى الألسنية حيث أدخلت فكرة النسق على القول أو التلفظ فأصبح الخطاب بمثابة رسالة Message كلية أو قول فهو لا يرجع إلى الذات المتكلمة أو

---

[1] خالد سليكي، **من النقد المعياري إلى التحليل اللساني، الشعرية البنيوية نموذجا**، مجلة عالم الفكر، العدد 1، 2 المجلد 23، 1994، ص376.

2 صفاء جبارة، **مرجع سابق**، ص38.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

صاحبة الخطاب كوحدة ألسنية لها وزنها أو حجمها الكبير في الجملة، فالخطاب وفقاً لهذه المدرسة يتعدى الجملة أي أنه أكبر من مستواها، فالجملة هي درجة في الخطاب والذي يتعد مستوى الجمل في كل الأحوال. وكأن السياق في هذه المدرسة هو الإطار المرجعي الذي يحاول فيه المتلقي إدراك مادة القول ويكون قابلا للشرح. . . وهو الرصيد والمخزون الحضاري للقول ولا تكون الرسالة بذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله أما عن وسائل تلقي النص فقد كان القراء في البداية يستقبلون النصوص وكأنها رسائل من مرسل ويركزون فيها على المرسل فيدرسون سيرته وسيرة عصره ويجعلون من النص وثيقة تاريخية، ولذلك كان الاهتمام زائداً بالكاتب أكثر من الاهتمام بالنص، وأصبحت نية الكاتب أساساً لتفسير النصوص مما يجعل الكاتب أو المرسل فوق النص والقارئ أو المتلقي وأحدث طغيان هذا الاتجاه وتحكمه في مسيرة الخطاب. . . الأمر الذي أدى إلى ردة فعل واسعة تمثلت في ظهور بعض مدارس النقد الحديث لتنظر إلى النص على أنه عمل مغلق ومستقل وتعزله عن مؤلفه وعصره. . . لكن في النهاية لم يهتم الشكليون الروس بالتفكير في العلاقة بين النصوص وشرط أو ظروف إنتاجها[1].

بناء على ما سبق أن هذه الحركة عرفت عدة مضايقات، حيث حاربها المذهب الذي كان سائداً آنذاك والذي كان يتسم بتغليب الكفة الأيديولوجية على حساب الشكل والنظر إلى الآثار الأدبية باعتبارها أفكاراً تعكس الواقع وتصوره تصويراً صادقاً وأميناً.

---

[1] أميمه عبود. **قضية الهوية في مصر في السبعينات دراسة في تحليل بعض نصوص الخطاب السياسي.** ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1993، ص 13 -14.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

للإشارة كانت الضربات تتوالى على الشكليين حيث أن توجههم قد أدى إلى نفي بعض أعضائها وقتل آخرين فمن خلال التضييق والاضطهاد الذي أدى في نهاية الأمر إلى توقف نشاط الحركة وهجرة الكثير من أعضائها إلى خارج روسيا. ففي عام 1930 تمثل بداية نهاية الشكليين لكن منذ عام 1920 كان جاكبسون قد تمكن من أن ينقل إلى براغ الحركة اللسانية[1].

ففي عام 1926 تأسست جمعية لسانية في براغ باسم حلقة براغ اللسانية وقام بتأسيسها جيل متحمس لأحدث المذاهب في ذلك الوقت وهي أفكار **دي سوسير، وبود وان دي كورت ناي** وكفل النجاح لهذا الشروع ما تمتعت به براغ من تقاليد راسخة في الفكر اللساني، وكانت شخصيات أساسية في هذه الجمعية هم الثلاثة المهاجرين الروس، **جاكبسون، كارسبسكي، تروبسكوي**، وأعلام الشكليين الروس **ماثيوس، بتر بنكا، هافرينك، وموكارفسكي** الذي كان من كبار الضالعين المنظرين في مجال الدرس الأدبي لم يستغرق تطور النشاط الخصب الذي قامت به هذه الجمعية إلا ما يقارب عشر سنوات غير أن أفكار حلقة براغ تم ازدهارها في هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت بحكم الظروف وطناً لجاكبسون[2].

للإشارة علما أن الخصوم لم يكونوا نقاداً أو أساتذة جامعيين فقط، بل كانوا كذلك أيديولوجيين، مثل **تروتسكى** الذي يقول في كتابه" **الأدب والثورة**" إذا ما تركنا جانب الأصداء الضعيفة التي

---

[1] خالد سليكي. **من النقد المعياري إلى التحليل اللساني، الشعرية البنيوية نموذجا**، مرجع سابق، ص377.

[2] وفاء محمد كامل. **البنيوية في اللسانيات**، مجلة عالم الفكر، العدد، 1 - 2، المجلد 23، 1994، ص 232.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

خلفتها أنظمة أيديولوجية سابقة على الثورة نجد أن النظرية الوحيدة التي اعترضت الماركسية في روسيا السوفيتية خلال السنوات الأخيرة هي النظرية الشكلانية في الفن عام 1924 أو نقاداً أيديولوجيين مثل لونا تشارسكي الذي وصف الشكلانية في عام 1930 بأنه تخريب إجرامي ذو طبيعة أيديولوجية[1].

وفي هذا الصدد يقول : جون **لويس كبناس** الذي يعرف فيه العمل ا لشكلاني باعتباره تياراً من الدراسات الأدبية تطور في روسيا بين عامي 1915 ، 1930 ، وينبغي وضع هذا التيار في علاقة مع ازدهار اللسانيات البنائية وخاصة مع حلقة براغ اللسانية هذه الحلقة التي تبدو جزئيا كأصل في نشأته وينبغي خاصة وضع التيار في خط المستقبليين الروس، حيث يتم ربطه - بشكل أكبر اتساعا- مع هذا التيار الأدبي الجمالي من **ملامية إلى جويس** الذي أكد على أن القوانين الداخلية للخطاب. . . وقف على المستوى النقدي ضد النزعة التاريخية المهيمنة[2].

إن عملية الإسهاب في الكتابة حول المشروع الشكلاني قد يتطلب من الباحث بحثا واسعا وفق المعايير المعمول بها في مناهج البحث، ويرجع إلى ذلك لطبيعة كثافته وثرائه لذا تم الاقتصار على بعض الجوانب التي تحددها اعتبارات منهجية في نشر البحوث في المجلات العلمية.

بناءً لما تقدم سيحاول الباحث أن يعطى نظرة لتحليل الخطاب من وجهة نظر المدرسة البنيوية.

---

[1] خالد سليكي، مرجع سابق، ص 377 .

2 خالد سليكي، **مرجع السابق**، ص. 379.

Scanned by DocumentScanner | Lufick

www.manaraa.com

يقول ليفي ستروس في هذا السياق : "إنني أكد على أن البنيوية الحديثة ومن ضمنها اللسانيات البنيوية، ماهي إلا امتداد للشكلين الروس"[1].

ب- تحليل الخطاب من وجهة نظر المدرسة البنيوية :

انطلقت دراسة الخطاب مع نهاية الستينات من تيار المدرسة البنيوية حيث كانت البداية في فرنسا حيث بدأ يظهر اهتمام خاص من قبل علماء اللغويات بتطوير كيفية تركيب وبناء المعاني. . . واهتم هذا التيار بتحليل اللغة من مستوى الجملة كوحدة للتحليل إلى مستوى تحليل الخطاب كله ليشمل ذلك تحليل نسق المقولة المكتوبة وكذلك أدوات الإقناع أو الجدل Argumentation التي يحتويها[2].

وترى البنيوية أن الكشف عن المعنى الكامن في الخطابات الفكرية لن يتم إلا من خلال التحليل الالسني اللغوي بمعنى تحليل ألفاظ الخطاب وما ورد فيه بغض النظر عن قائله الذي رأت أن تحليله محور اهتمام ودراسة حقل أخر من العلوم وليس اللغة. . . ويستند التحليل البنيوي على مفهوم مجمد للنص[3] حيث يحاولوا أنصار هذه المدرسة إقناعنا أن مؤلف النص ميت، وفى النهاية لا تهتم البنيوية بلحظة إنتاج النص أي أنها تعزله عن سياقه التاريخي ولا لحظة استقباله أي التفسيرات التي تلي النص بعد إنتاجه [4].

---

[1] الزواوي بغورة، **البنيوية منهج أم محتوى**، مجلة عالم الفكر، العدد، 4، المجلد، 30، أبريل- يونيو 2002، ص45.

[2] أميمه مصطفى عبود أمين، **قضية الهوية فى مصر فى السبعينات دراسة فى تحليل بعض نصوص الخطاب السياسي**، ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. جامعة القاهرة، 1993، ص7 - 9.

[3] أميمه مصطفى عبود أمين، مرجع سابق، ص 9، عن : ب. برونل وآخرون، **النقد الأدبي**، ترجمة هدى وصفي. (القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1990)، ص111 .

[4] أميمه مصطفى عبود أمين، مرجع سابق، ص 9.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

ارتبطت البنيوية باللساني السويسري **دي سوسير** بعد دعوته المشهورة إلى التمييز بين **الدراسات التعاقبية والدراسات التزامنية** وتشديده على مفهوم البنية والنظام في اللغة"[1] فهو يقرر بصراحة أن " اللغة في أي لحظة تنطوي بداهة على نظام مستقر وعلى وجه من التطور ؛ فهي في كل لحظة مؤسسة في الحاضر ونتاج الماضي، والتزامني والتعاقبي ليسا نمطين من العناصر ولكنهما طريقتان لتناول اللغة"[2]

ليست البنيوية مدرسة فلسفية أو ميدانا خاصا للمعرفة، بل هي اتجاه فكري أصبح يغزو جميع الميادين حتى أنه مثلت قوام ودعامة الفكر الأوروبي المعاصر محدثة رجة لم يكن يحلم بها مؤسسها الأول فريدينا ندي سوسير الذي عمل على تحديد موضوع اللغة فميز بين اللغة والكلام واعتبر اللغة نسقاً منظماً. . . مؤكداً مفهوم النسق الذي يتكشف في دراسة العلاقات الداخلية للغة. . . استنادا إلى فريديناند دي سوسير قام كلود ليفي ستروس بتطبيق مبادئ علم اللغة على الظواهر الاجتماعية، واعتبر أنه بإمكان المنهج البنيوي أن يؤدي دوراً بارزاً في حقل العلوم الاجتماعية، يماثل الدور الذي أدته الفيزياء النووية بالنسبة لمجمل العلوم الدقيقة[3].

---

[1] محمد يونس على، **أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة**، مجلة عالم الفكر، العدد، 1، المجلد32، يوليو- سبتمبر 2000، ص143.

[2] جوناثان كلر، فردنا ندي سوسير، ترجمة : عز الدين إسماعيل، **أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات**، ط1 (القاهرة : المكتبة الأكاديمية، 2000)، ص 151.

[3] عبد الرحمن التليلي، فوكو : **الحفريات منهج أم فتح في الفلسفة**، مجلة عالم الفكر، العدد 4 المجلد30، ابريل يونيو2002، ص22 .

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

إن البحث عن جذور تحليل الخطاب من وجهة نظر المدرسة البنيوية ترجع إلى التوزيع في اتجاهات ومشارب مختلفة والى الحفر في حقول معرفية متعددة كعلم الانثروبولوجيا واللسانيات والتحليل النفسي. . . حيث ارتبط بمفكرين متعددي المشارب والاتجاهات فإذا كان شتراوس قد عمل في حقل الاثولوجيا وتحليل الأسطورة. [1] فإن جاك **لوكان** انشغل بالتحليل النفسي حول مفهوم اللغة معتبراً اللاشعور بنية شبيهة ببنية اللغة، وأن اللاشعور من شأنه أن يؤدي عمله الوظيفي تماما كاللغة، فيكون بذلك البعد اللغوي دعامة التحليل النفسي أن يكشف عن حقيقة الذات الإنسانية. [2] **وبارت** بالتحليل السردي والسيمياء والنظرية الأدبية، **وألتوسير** بالنظرية الماركسية. [3]

فوكو والبنيوية

يبقى فوكو معزولا عن الحركة البنيوية التي غزت الثقافة الفرنسية خلال الستينات، بل أنه انتقل من موقف الإعجاب إلى موقف التبني لبعض أطروحاتها فإقتداء باللسانيات التي أولت أهمية كبرى للنسق واستنادا إلى تأويل الحديث في التحليل النفسي، واعتمادا لبعض أبحاث ليفى ستروس سيكتشف فوكو اللاشعور الكامن في العلم والمعرفة، ففوكو يزيح النقاب عن النسق الخفي الذي يوجه العلوم والمعارف، وان واكب فوكو انتشار البنيوية فكراً وأيديولوجية ومنهجا، وان غدا واحداً من أقطابها على شاكلة كلود

---

1 صفاء جبارة، **الخطاب الإعلامي بين النظرية والتطبيق**، ط1، (الأردن : دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009)، ص61.

2 عبد الرحمن التليلي، فوكو : **الحفريات منهج أم فتح في الفلسفة**، مجلة عالم الفكر، العدد، 2، المجلد، 30، أبريل- يونيو 2002، ص22.

3 صفاء جبارة، **مرجع سابق**، ص61.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

لفي ستروس في المجال الانثروبولوجي، وجاك لا كان في التحليل النفسي ورولان بارث في النقد الأدبي وعلى الرغم من أنه انساق لها. إلا أنها لم تمثل في نظره منهجاً جديداً فحسب، بل اعتبرها وعي المعرفة الحديثة المستيقظ والقلقل[1]. مهما يكن من أمر فالمنهج الاركيولوجي الفوكوي لا يختلف في جوهره كثيراً عن المنحى الأساسي للبنيوية باعتباره محاولة لإدراك الفكر، بوصفه مجال. . . المعرفة في وضعيتها الخالصة كفكر محض أي كفكر ينبثق تلقائيا من حركة الممارسة الخطابية. . . ففوكو يسعى إلى تحرير الخطاب من كل اعتبارات ذاتية ومن كل أشكال سلطوية لذا يقترح تحليلا بنيويا للخطاب يعنى بدراسة العلاقات القائمة بين عناصر الخطاب التي تكون في مجموعها نسقاً[2].

لقد ميز هدا السعي لتمازج المعارف، المشروع البنيوي في القارة الأوروبية على وجه الخصوص، حيث انحاز مفكروها بتعدد اهتماماتهم وإيمانهم بإلتحام المعارف. وهذا ما التفت إليه تروبتسكوي إذ أشار عام 1933الى أن الإسهامات والجهود البنيوية التي تتميز بشمولها المنهج قد أصبحت قاسما مشتركا بين العلوم نتيجة لالتحام التيارات الفكرية والعلمية الكيمياء والإحياء وعلم النفس والاقتصاد والدراسات اللغوية[3]

---

[1] عبد الرحمن التليلي المرجع السابق. ص22، 23 . نقلا عن : ميشيل فوكو، **الكلمات والأشياء**، ترجمة فريق الترجمة بمركز الإنماء القومي، بيروت : تحت إشراف مطاع صفدي، 1990، ص 221 .

[2] عبد الرحمن عبد التليلي، **مرجع سابق**، ص، 23. **نقلا عن** : محمد على الكبسي، **مشال فوكو، تكنولوجيا الخطاب، السلطة، السيطرة على الجسد**، (تونس : سراس للنشر، 1993)، 28-29.

[3] صفاء جبارة، . **المرجع السابق**. ص61. **نقلا عن** : كير وزيل اديث، **عصر البنيوية**، ترجمة : جابر عصفور، (بغداد : دار أفاق عربية للصحافة والنشر، 1985)، ص20 .

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

يعد دي سوسير أول من مهد لمفهوم البنية في محاضراته في الألسنية العامة بيد أنه لم يذكر عبارة structure ولكنه ذكر عبارة forme حيث قال أن اللغة شكل وليست بمادة قاصدا إدارة الدراسة حول الهياكل التي تتشكل وفقها الوحدات اللغوية بدءا بالتمثيليات الصيغية المجردة وصولا إلى نظام العلاقات التي تتخفى وراءها حقيقة اللغة صارفا بذلك الاهتمام عن المادة التي تصاغ منها كل الوحدات، بحكم هي التي تصنع هوية اللسان، بل ما يصنعه هو الشكل بدءا بالتمثيلات الصيغية المجردة وصولا إلى نظام العلاقات التي تتخفى وراءها اللغة[1].

فسو سير كان يعتمد مفهوم النظام (الذي يقتضي مفهوم القيمة) في تعريف اللغة وفى لفت الانتباه إلى أن حقيقة الدراسة اللسانية ينبغي أن لا تنظر إلى عناصر اللغة في انفراد بل في تعالق. وتعد هذه الفكرة البذرة التي أثمرت في ما بعد التوجه البنيوي لدى تلامذة سوسير ومناصريه من"البنيويين".

ولكي يقنعنا فا ن دايك بوجود بنية كلية في الخطاب يحاول البحث عن بنيات لغوية عبرها تتجلى البنيات الكلية. وأول بنية على ذلك ردود فعل القارئ أو المستمع المعبرة عن عدم قبوله لمتتالية ما وخطاب ما لأنه يفتقر إلى بنية كلية تجمع شتاته، ومن ردود الفعل عن أي شيء تتحدث ؟ ليس لما قلته أو كتبته أي المعنى، من خلال ذلك أن مجموعة المتتاليات التي ليست لديها بنية كلية تعد غير مقبولة في السياقات التواصلية[2].

---

1 توفيق قريرة، مرجع سابق، ص180.

2 محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، (المغرب : المركز الثقافي العربي، 2006)، ص45 .

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

وفي هذا السياق يؤكد الأستاذ محمد خطابي أن لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب وأن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عماليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال، على أن البنية الكلية ليست شيئاً معطى، حتى وأن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته[1].

تبنت المدرسة البنيوية مع بداية القرن العشرين دراسة الخطاب وأشكاله واهتمت بتحليل اللغة وانتقلت من مستوى الجملة وحدة تحليلية إلى مستوى تحليل الخطاب كله فيشمل ذلك تحليل نسق المقولة المكتوبة أو المنطوقة وكذلك أدوات الإقناع أو الجدل التي يحتويها.

لقد اعتمدت المدرسة على البنية النصية ولم تعبأ بغيرها وترى أن تحليل ألفاظ الخطاب وما ورد فيه يكشف عن المعنى الكامن في الخطابات الفكرية، ويتم هذا التحليل بعيداً عن المؤلف أو المبدع ولهذا اهتم دوسوسير بتحليل النصوص الأدبية من الداخل وأبنية العمل ذاته، ولم يدخل في تحليل العوامل الخارجية مثل الذات المتكلمة، والعالم الخارجي، فالذي يعنيه مضمون الخطاب فجعله موضوع الدراسة والبحث.

لم تهتم البنيوية بغير النص فلم تدرس دور الفرد أو المبدع، أو الجوانب النفسية في الخطاب وعلاقة النص بالعالم الخارجي، ولكنها لم تتمسك طويلا وظهرت اتجاهات أخرى ترى لا بد من دراسة العناصر الأخرى التي شاركت في إنتاج النص.

---

[1] محمد خطابي، مرجع السابق، ص46 .

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

وقد أسهمت تيارات أخرى وبخاصة مدرسة الشكليين الروس في تحديد مفهوم الخطاب وعلاقته بالألسنية حيث أقحمت فكرة النسق systeme على القول أو النطق enonce من هنا أصبح الخطاب بمثابة رسالة كلية أو قول إذ يعني المرسل والمتكلم والرسالة والقناة والسياق. وأصبح السياق هو الذي يحكم المعنى وأولت المدرسة الشكلية الروسية اهتماما بالمبدع أو المرسل على عكس سابقتها البنيوية التي نادت بموت المبدع[1].

ج- تحليل الخطاب من وجهة نظر المدرسة التداولية

أن البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلوساكسونية وقد تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية وانجلتر بسبب الدور الذي أدته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة. ترجع نقطة بداية التداولية مع أعمال فلاسفة اللغة خاصة من خلال مناقشات جون آستين سنة1950 في جامعة هارفارد وكذا محاضرات بول كرايس سنة 1967 هذه المحاضرات التي لم تسمح فقط بإحداث تقدم في مستوى معرفتنا باللغات الطبيعية، ولكن أحدثت تغييراً طال حتى هندسة اللسانيات، فاكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح أفاقاً أرحب وأنتج أسئلة جديدة ستكون مسوغاً للاعتراف بالتداولية كأحدث بحث أفرزته حظيرة اللسانيات الحديثة. البحث الذي يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية والمتعلقة بالسياق والمقام والمتكلمين، ومقاصدهم وحيثيات الاستعمال. [2]

---

[1] محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامي، مرجع سابق، ص20، 21.

[2] مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد، 1، المجلد 33، يونيو-سبتمبر2004، ص 245.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

يشير يورغن هبرماس الى أن فحص اللغة والكلام لن يقتصر فقط على دراسة الجمل من الناحية الصوتية والتركيبية أو الدلالية، بل يجب أن ينتقل إلى مستوى رابع جديد، يعني بتداولية الخطاب[1].

شهدت الدراسات في المجال اللساني نقلات معرفية وجذرية هامة إذا كان الكثير من الدارسين والمهتمين بحقل اللسانيات يهتمون بالبنى اللغوية من حيث تركيباتها ودلالاتها، راح الحقل المعرفي اللساني الحديث يهتم بجانب آخر يطلق عليه في البحوث الانجلوساكسونية مصطلح البرغماتيك pragmatics والذي ترجم فيما بعد بمصطلح التداوليات عام 1970 من قبل الاستاذ طه عبد الرحمن حيث يقول فى هدا الصدد : "وقع اختيارنا منذ عام 1970 على مصطلح التداوليات مقابل للمصطلح الغربي برغماتيك لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالاته على معنيي الاستعمال والتفاعل. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذي أخذوا يدرجونه في بحوثهم [2] .

واتجاه أخر يرى أن الخطاب لا يكتمل إلا عند المتلقي للرسالة أو الموقف الاتصالي إلا من خلال السياقات قد تكون ثقافية، اجتماعية، اقتصادية التي نشأ فيها.

وفى هذا الصدد يقول بول ريكور : "يبقى الخطاب يمثل إشكالية اليوم، وذلك لأن انجازات علم اللغة الأساسية تهتم باللغة من حيث هي بنية ونسق لا من حيث هي مستعملة، لذلك فإن مهمتنا ستكون إنقاذ الخطاب من منفاه الهامشي والتقلقل" [3]

---

[1] حسن مصدق. **يورغن هبر ماس ومدرسة فرنكفورت، النظرية النقدية التواصلية**، ط1 (المغرب : الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005)، ص 127 .

[2] وحيد بن بو عزيز، **التداولية في الخطاب العربي المعاصر مفهوم المناظرة، الأسس والمساءلات** العدد17، (جامعة الجزائر 2، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، يناير 2006)، ص، 224.

[3] بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، **نظرية التاويل، الخطاب وفائض المعنى**، ط2(المغرب : المركز الثقافي العربي، 2006)، ص25.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

دور السياق في فهم وتأويل الخطاب :

إن السياق له دور فاعل في فهم وتأويل الخطاب إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط من حيث لغته، ولكنه قد يتضمن ضمائر وظرف تجعله ضبابيا غير واضح ومفهوم دون الإحاطة بسياقه ومن ثم فإن للسياق أهمية كبيرة في تواصلية الخطاب وانسجامه فعلى محلل الخطاب أن يأخذ بنظر الاعتبار السياق الذي يرد فيه الخطاب إذ هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية إثناء التأويل ومن هذه الحدود (مثلا هنا، ألان إنا، أنت، هذا)

من أجل تأويل هده العناصر- حين ترد في خطاب ما- من الضروري أن نعرف على الأقل من هو المتكلم ومن هو المستمع وزمان ومكان إنتاج الخطاب[1].

حيث يجعل التأويل من الخطاب فيضاً من الدلالة والمعنى، فهو مشحون بالقصدية والهدفية، ويحيلنا إلى الذات كذات مبدعة ومؤسسة خلاقة وفطنة تكشف عن اللا مفكر فيه، عن المسكوت عنه والمتخفي في الخطاب[2] حيث يتوقف التأويل عند فان دايك على مدى استجابة المتلقي للرسالة وكذلك على مدى قدرة المرسل على تبليغ خطابه والتعبير عن قصده لتحقيق التواصل[3].

---

[1] محمد خطابي، **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، مرجع سابق. ص297.

[2] عبد الرحمن التليلي، **فوكو، الحفريات منهج أم فتح في الفلسفة**، مجلة عالم الفكر، العدد4، المجلد 30، أبريل يونيو 2002، ص30.

[3] نعمان بوقره، **نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية**، مجلة اللغة والآداب، العدد 17، (جامعة الجزائر : قسم اللغة العربية وادابها، 2006)، ص174 .

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

يذهب بول ريكور إلى القول : "أن الوظيفة السياقية للخطاب تتمثل في حجب تعدد المعاني في الكلمات، وتقليص الاستقطاب في أقل عدد ممكن من التأويلات، أي غموض الخطاب الناشئ عن التعدد المنكشف في معاني الكلمات"[1]. ونجد التأكيد نفسه على السياق وضرورة مراعاته في تحليل الخطاب عند كل من براون ويول حيث جاء في كتابهما تحليل الخطاب يجب أن يكون لكل نص هدف وبناء محكم وسياق خاص وعلى هذا فإن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية. . . تحليلاً كاملاً دون مراعاة للسياق، قد أصبحت في السنيين الأخيرة محل شك كبير[2].

ويرى بول ريكور من وجهة نظره ضمن إطار تقنيات القراءة في إجراءاتها وهي تؤول النص انه تعمد إلى إيراد السياق الاجتماعي والتاريخي وتحاول بهذا المضمار المعقد استخراج كل المعاني والدلالات المحتملة، أي أنها ببعض ذلك تفترض وضعا فلسفيا للمرجعية وتتخذها معياراً للتقويم[3].

ويقول في نفس المضمار روبرت دي بوجراند : عن ضرورة مراعاة السياق : ينبغي للنص أن يتصل بموقف. . . تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف وهذه البيئة الشاسعة

---

[1] بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، **نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى**، ط2(المغرب : المركز الثقافي العربي، 2006)، ص45.

[2] محمد الأخضر الصبيحي، **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**، ط1، (بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008)، ص75. نقلا عن :

براون، يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، ، (الرياض : منشورات جامعة الملك سعود، 1997)، ص32.

[3] عبد الملك مرتاض، **التأويلية بين المقدس والمدنس**، مجلة عالم الفكر، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د- ت)، ص 265 .

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

تسمى سياق الموقف[1] من هذا المنطلق تتحدد ماهية الخطاب. . . على وجه الخصوص من تداولية المنتج (القدرة الخطابية) إلى تداولية المتلقي(القدرة التأويلية) لفحوى الخطاب ومقصديه منتجه تبعا للسياق المرجعي[2].

في هذا الصدد يرى الأستاذ أحمد العاقد : "أن وصل النص بالسياق لتحصيل التفاعلات المولدة للخطاب ضمن المحيط الاجتماعي والثقافي. . . على أن التجليات السياقية للخطاب تشتغل تبعاً لبعدين مترا تبين : بعد محلي مخصص وبعد شامل.

إن **السياق المخصص** للخطاب يظهر عبر الملفوظات الجملية من خلال المركبات الاسمية وعناصر الزمان والمكان، بحيث تكثف التحليل عبر الجملي ليستخلص التصورات المعرفية التي تمثل المحددات الثقافية والاجتماعية والتاريخية، ومن ثم يعد السياق بناء ذهنيا للأحداث اللغوية داخل الخطاب النصي[3].

أما **السياق المعمم** للخطاب فيتحدد نتيجة العوامل التواصلية التي توسع دائرة الإحالة لتشمل أوضاع التخاطب ضمن محيط مجتمعي تتكاتف جميع الأطر المجتمعية بحيث تتفاعل فيه المميزات النفسية للمتخاطبين ومواقفهم وسلوكا تهم، وعلى هذه الجديلة، يقترن السياق المعمم بما أسمته كامبسون 1975 الكون الخطابي

---

[1] محمد الأخضر الصبيحي، **مرجع سابق**، ص 75. **نقلا عن** : دي بوجراند روبرت، **النص والخطاب**، الإجراء، ترجمة : تمام حسان، (القاهرة : عالم الكتب، 1988)، ص90، 91 .

[2] بن قندوز الهوا ري، **بنية الخطاب السردي مقاربة تداولية**، مجلة اللغة والآداب، العدد 17، (جامعة الجزائر : قسم اللغة العربية وآدابها، يناير 2006)، ص 96.

[3] أحمد العاقد، **تحليل الخطاب الصحافي، من اللغة إلى السلطة**، ط1، (المغرب : مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002)، ص 136.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

الذي يعطي المعرفة المشتركة اجتماعيا وثقافيا بين منتج النص وتلقيه كتغطية للإستدلا لات الضمنية لكشف المعاني الخفية والمسكوت عنها سياسيا، وقد لزم عن هذه الوجهة الشمولية اعتبار اللغة النصية ليس تمثيلا وتجليا معرفيا للسياق وإنما تشكيلا إبداعيا إعادة إنتاج للمحددات السياقية[1].

ينظر تحليل الخطاب إلى مسارات اللغة عبر النصوص إذ يتناول العلاقة بين اللغة والمحيط الاجتماعي والثقافي اللذان تستخدم فيها هذه اللغة (السياق) حيث يتناول الطرق التي من خلالها يؤدى باستخدام اللغة وتوظيفها في تشكيل الآراء المتباينة. . . كما ينظر إلى كيفية تشكل الآراء والرؤى حول العالم والهويات من خلال كيفية توظيف مفردات الخطاب؛الأمر الذي يؤدى بتحليل الخطاب إلى الفحص الدقيق كلا من النصوص المكتوبة والمنطوقة[2].

يرى أنصار التحليل التداولي للخطاب أن الأهمية القصوى لتحديد علاقة البلاغة بالتداولية، هي تعريف مجال كل منها فالبلاغة فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، مما يجعلها مجرد أداة نفعية. . . وبنفس المنهج يرى ليتش أن البلاغة تداولية في جوهرها إذا أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما. ولذلك فإن البلاغة والتداولية البرغماتية، تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي[3].

---

[1] أحمد العاقد، مرجع سابق، ص137.

2 Ken Hyland. Discours Analysis An Introduction. (London:MPG Books L td Bodmin Cornwal Brian Paltridge 2006) . p 2

[3] حفناوي بعلي، **التداولية البرغماتية الجديدة، خطاب ما بعد الحداثة**، مجلة اللغة والأدب، العدد17، (جامعة الجزائر : قسم اللغة العربية آدابها، يناير 2006)، ص 66، 67 .

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

إن منظور التحليل التداولي تتمثل في الخطاب وفاعله الذي نعرفه فحسب من خلال خطابه، أي الكيفية التي يقدم بها نفسه من جانب، فعلى التحليل النصي للقول أن يشمل كل ما يشير إليه النص من موقف الفاعل الداخلي تجاه قوله، وتأسيسا على ذلك يرى التداوليين أن الخطاب ينقسم إلى نوعين كبيرين، خطاب مباشر وآخر غير مباشر[1].

فالخطاب المباشر يراد به مجرد توصيف المتكلم دون التعبير عن أي حكم صريح عنه أو عن كلماته أما الخطاب غير المباشر وهو يتولد عند امتصاص خطاب الأخر، وأداته بطريقة غير حرفية : مما يتطلب تحويل أزمنته الفعلية وتعديل ضمائره وإشاراته كي تتسق في اتجاهاتها وإحالتها. الأمر الذي يجعله مختلفا عن الخطاب المباشر؛اد يقوم القائل هنا بإعادة صياغة الكلام، بحيث يأخذ بنظر الاعتبار في عملية نقله التوخي والدقة في نقله حينا أو إيجازه واقتطاع بعض أجزائه حينا أخر، مستخدما كلماته هو، يؤدى بها ما قاله المتكلم المنقول عنه. عندئذ تصبح الإشارات والأزمنة والضمائر مختارة من منظور القائل، مما يجعله للوهلة الأولى أقل موضوعية، وحيادا عادة عن الخطاب المباشر. إذ أن الاعتماد على الخطاب غير المباشر، يعني أن المتحدث قد اختار استخدام لغته هو، وإعادة صياغة خطاب غيره[2].

---

[1] حفناوي بعلي، **المرجع السابق**، ص 67.

[2] صلاح فضل، **بلاغة الخطاب، وعلم النص**، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1992) ص 101، 102.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com

الخاتمة

يبقى تحليل الخطاب الإطار العام الأكثر إقناعا في الدراسات التحليلية فمن خلال العرض الذي قدمناه لوجهات النظر الخاصة بمفهوم تحليل الخطاب، والاتجاهات النظرية التي أسست للمفهوم وما يندرج عنها من متغيرات التي كانت وليدة سياق الزمان والمكان. نرى أن تحليل الخطاب يمكن الاعتماد عليه في الدراسات الإعلامية في الوقت الراهن خاصة أن توظيفه في إطار الأبحاث والدراسات الإعلامية مازال محتشما للغاية، فالخطاب الاعلامي يكتسي صبغة خاصة تميزه عن بقية الخطابات الأخرى نتيجة لبعض الاطر التي تتحكم فيه بطريقة أو بأخرى كالإطار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي ينطلق منها منتج الخطاب وتصاغ وفقالافكاره وقناعاته، وهو ما يشكل الحركية المتغيرة للمؤسسة التي يعمل بها فطبيعة العلاقة الارتبا طية بين بيئة العمل والنظام السياسي السائد تؤدي دورا فاعلا في تشكيل السمات التي تميز الخطاب المنتج، فعنصر الاستقلالية يعد الأساس الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للارتقاء بحرية الرأي والتعبير عما يختلف فيه الطرفان في كيفية وطريقة صياغة الخطاب تجاه قضية ما، وبالمقابل تلتزم المؤسسة التي تنطلق من العقيدة السياسية للنظام السائد بطرح الخطاب الذي يتماشى والمفردات المعهودة التي تسهم قطعا في فهم آليات تأثر الخطاب، كما أن الإطار الثقافي بصفته أحد المتغيرات الرئيسة في توجيه إنتاج الخطاب ككل، يشكل الإطار العام الذي تصاغ فيه حيثيات الخطاب، الأمر الذي يؤدي إلى تعدد الخطابات والتصورات التي نجد انها في كثير من الاحيان تبدو متباينة بالرغم من انها تنطلق من قضية واحدة وهو ما يعكس وجهات النظر التي لا تكون في غالب الاحيان بمعزل عن الخلفية الثقافية في التعامل مع تلك القضية في كل الاحوال.

Scanned by DocumentScanner | Lufick
www.manaraa.com